الحجاج فى الخطبة العربية
دراسة وصفية لغوية

الدكتورة سميرة هاشم إبراهيم الحاج
أستاذ علم اللغة المساعد
جامعة تبوك- الكلية الجامعية بالوجه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، تعددت المناهج اللغوية المنهج الوصفى و منهجٍ مقارنٍ ومنهجٍ تاريخى ومع التطور العلمي في مجال اللسانيات– حيث أصبحت جميعها تدرس فى إطار المنهج الوصفى.فهذا موضوعٌ أتناول فيه تأثيرالخطيب والوسائل اللغوية التى يستخدمها على المستمعين له ،

وقد كانت الدراسات العربية الصوتية القديمة تتسم بالدراسات الوصفية التى تقوم على جمع المادة المراد دراستها ومن ثم تجربتها وصولاً إلى قواعد تختص بالظاهرة التى تمت دراستها . اما الدراسات العربية الوصفية الحديثة تقوم بالربط بين المناهج القديمة والحديثة معتمدة على الوصف والتطبيق باستخدام المنهج الوصفى الاستقرائى اللسانى .

تناول الدارسون جانباً مهما من جوانب الدراسة التشكيلية الصوتية والأدائية،وهذا يرجع إلى اهتمامهم بالتركيب اللغوي لما له من أهمية في حياة اللغة . ، فلكل لغة مستوياتها المتعددة التي تتشكل في النهاية كنظام فيه كل مستوى مع الآخر ، فكل مستوى يؤثر ويكمل الآخر فالمستوى االصوتى لا يتعارض مع المستوى النحوي أو الصرفي مثلاً ، فالمستوى الصوتي أو الأصواتي، يخضع لتوزيع منسجم حيث لا يتعارض صوت مع آخر أو موقع مع آخر ، ويؤدي هذا المستوى الصوتي بالتعاون مع باقي المستويات وظيفة جلية وهامة في حياة اللغة.

درس البحث اللغوى الحديث مع المستويات اللغوية، على أساس أنها تتكامل؛ فكل مستوى يرتبط بالآخر ويفيد منه، ولا يجوز الفصل بينها أو الاكتفاء بواحد منها فى معالجة أى قضية لغوية، وذلك لأن النص اللغوى كلٌّ لا يتجزأ

تطورت الدراسات اللسانية والتداولية فزاد اهتمام اللغويين المحدثين بالحجاج ،حيث ظهرت عدّة نظريآت، وإن اختلفت مشاربها النّظريّة ومنطقاتها المنهجيّة أو الأصولية إلا أنّها تكشف لنا بوضوح قيمة الموقف من الحجاج باعتباره أحد وسائل الخطاب التى ارتبطت الخطابة بكونها فنا من فنون القول . بالظروف السياسية والفكرية والاجتماعية التي تسود المجتمع بشكل عام

في هذه الدراسة ، نتناول تطبيق وسائل الحجاج الخطابى والمتمثلة فى المنظام المقطعي على البنية المقطعية الصوتية للخطبة العربية قديماً ونتناولها بالوصف بهدف الوصول إلى مظاهر الحجاج خلال النسيج الذى يتبعه الخطيب .

استخدمت فى هذه الدراسة المنهج الوصفى ؛ لصلته الوثيقة باللغة وملاءمته لطبيعة موضوع الدراسة ،، أفادت الدراسة من وسائل البحث اللغوى والدراسات الحديثة وتطبيقها على الأدوات التى استخدمها الخطيب فى العصر الجاهلى فى خطابه ،لأن اللغة مرآة تعكس كل مظاهر المجتمع من حضارة ورقىوفكر وثقافة ، كما أن البحث فى وسائل الاستخدام اللغوى يكشف لنا بجلاء مدى التطور الذى حدث فى دراسة وسائله وكيف أفاد البحث العلمى الحديث من التراث العربى القديم فى مجال اللسانيات .

المبحث الأول : – الحجاج والخطابة

تنشأ اللغة مع الناطقين بها ، وتنعكس مفاهيمهم وتصوراتهم على مفرداتها وتراكيبها ، واللغة تصور طبائع الأمة وخصالها ويظهر ذلك في ألفاظها ، وأصوات اللغة تعبر عن البيئة التي ألفها أصحابها والتي عاش فيها أفراد المجموعة البشرية ، و تعبر مفردات كل لغة عن مصارف الأمة ومشاهدها ومشاعرها ، كانت اللغة العربية تحمل خصائص العرب وخصالهم تعود أهمية الخطابة إلى الظروف والأوضاع المجتمعية في كافة المستويات والأصعدة ، فالخطابة في معناها العميق المتسع تعني إمكانية قيام فضاء للتعامل بين الناس على أساس اعتبار الاختلاف من تعدد الرؤى وتباين المواقف .

إن لكل لغة طابعاً خاصاً وصفات تتصف بها ، وتعين اللغة على بلوغ أغراض الحياة باستمرار، وبما أن اللغة عبارة : (عن أصوات يعبر بها كل قومٍ عن أغراضهم)[1]، ولذلك لا بد أن يكون بين اللغة والناطقين بها توافق ، فالكلمة في أصواتها وبنيتها واشتقاقها وفي مدلولها ومعناها تحمل ملامح المجتمع وثقافته، فالكلمة هي الوحدة الأساسية التي تتكون منها اللغة ، وتتكون الكلمة من الحروف والأصوات ، وباختلاف تركيب الحروف تختلف الكلمات ومعناها، فالصوت اللغوي يشكل المادة الخام للكلمة، وهو بذلك الأساس في الدرس اللغوي، إذ تتكون الكلمات المتآلفة من الأصوات ، ومن الكلمات تتكون التراكيب وصولاً إلى الدلالة، وتحقيقاً لها بوصفها غاية الدراسات اللغوية.إذ لا بد لكل نص من أن يتوافر فيه شرط التماسك الدلالى كي

يمكن وصفه بالنصية ، بل أن مقاربة هذا التماسك هى الخطوة الأهم فى تحليل النص أو الخطاب ، ذلك لأن التماسك الشكلى بروابطه المتعددة لا يمكن أن يكف وحده ، ولا يمكن أن يشكل تماسكاً أو وحدة فى الخطاب ،ولأدوات التماسك الشكلى علاقة قوية بالدلالة ومتداخلة ولا يمكن الفصل بينهما .ولا سيما إذا كان الخطاب المراد هو خطاب تم توجيهه لفئة مجتمعية تربط بينها وشائج قوية كالمجتمع الجاهلى .

الخطابة لها دورها الفعال في صياغة سلوك الناس والتأثير عليهم في شتى المجالات، وربما تأثيرها في قلوب الناس أعظم من أية وسيلة أخرى؛ وما ازلت الخطابة وسيلة ناجحة من الوسائل التي يلجأ إليها الدعاة، والمصلحون، والعلماء، والقادة في كل زمان ومكان لتحريك العقول، وبعث الثقة في النفوس للدفاع عن فكرة معينة، أو النهوض بمهمة معينة.

تعريف النص:

ترتبط اللغة بمصطلح النص ، فمصطلح النص في المادة المعجميّة واللغة مستمدة من الفعل نصص، وهي تعني كل شيءٍ ظاهر وواضح، أما في الاصطلاح فالنص: هو عبارةٌ عن ظاهرة لغويّة، يزيد فيها المعنى على اللفظ، تجمع بين الجملة والكلام والقول والتبليغ والخطاب والنظم– أي مستوى التركيب، ومستوى الدلالة والخطاب الذي يحتاج إلى متكلم وسامع ورسالة ومقام خاص بهذا الخطاب، ومن جانبٍ آخر هو التفسير والتأويل والشرح، في حالة أنّ النص يتمحور حول حضارة أو

ثقافة خاصة بشعبٍ ، وهي من الممكن أن تكون كل ما يكتب، ويعبر عن أفكار ومواضيع مختلفة نختص بهيئات النص، الذي قد يكون نثراً، أو شعراً، ، وأدوات النص القلم في الكتابة، واللسان في التعبير. هنالك مجموعةٌ من العناصر التي توجد بشكلٍ أساسي في أي نص على اختلاف أشكال النصوص، ومن هذه العناصر ما يلي:

الألفاظ: وهي أصغر وحدات النص ومكوّناته، و لا نعني اللفظة بمفردها إذ لا قيمة للكلمة بمفردها، وإنما نعني اللفظة المتضمّنة ضمن نسقٍ يسمى السياق، وبالترابط مع مجموعة من الكلمات والألفاظ الأخرى.

الأفكار: وهذا العنصر من أهم العناصر المعنويّة التي تربط بقية العناصر، إذ إنّ الأفكار هي العلاقة والأداء، وهي أيضاً الدافع الأساسي لقيام النص.

المعاني: وهذا العنصر أوسع عناصر النص، ومن خلاله يحكم على النص بالقوة أو الضعف، وبالجمال أو القبح، ومن خلال المعاني يظهر مدى إبداع الكاتب أو المتحدث وما قيمته، ومستواه التعليمي.

الخيال: وهو الضرورة الأساسيّة التي يعتمد عليها الكاتب في النص، ليفرغ ما يثقل نفسه في النص من خلال الخيال.

الصور البيانيّة: من أقدم عناصر النص هو الصور، فهي تجسّد كل ما هو معنوي، ليصبح الفهم أقرب للقارئ.

العاطفة: وهي ما يجعل التنوع والتغيير في الألفاظ والمعاني، والأساليب، والصور.

الأساليب: ومن المفترض أن يجمع الأسلوب بين القوة والوضوح والجمال.

الإيقاع الموسيقي: عنصر الموسيقا من جماليات النص، فهي تجذب القارئ وتمتعه خلال تلقيه للنص

النص الحجاجي :هو من وسائل اللسانيات الحديثة لدراسة المقامات التداولية ، ومن مقومات النص الخطابى ما يطلق عليه النص الحجاجى أى ما يسمى بالخطابة الجديدة بوصفه خطابة تستهدف إستمالة عقل المتلقى أو التأثير فيى سلوكه أى إقناعه ، وهو من اهم ما استحدث من دراسات فى مجال دراسة النص. يُعدَّ النَّص الحجاجي أحد أنواع النَّصوص التي تهتمُّ بدراسة الفعالية الحجاجية،وعَرِف الحجاج بإنه كل منطوق يوجه إلى الغير بقصد إفهامه دعوى مقصودة يمكن أن يعترض عليها وهو عبارة عن وسيلة من وسائل الإقناع والتَّعبير عن الرأي؛ حيث إنَّه يتضمن مجموعة من الحجج والقضايا المثبتة أو النافية التي يؤتى بها إمَّا للتأكيد على صحة رأي أو بطلانه، ويتميَّز النَّص الحجاجي عن غيره من النُّصوص بكثرة الحقول المعرفية التي تشمله، فيشمل الحجاج الفلسفة، واللسانيات، والقانون، ونظرية التَّواصل، والمنطق، كما أنَّه أصبح حديثاً يتناول علم النَّفس، وعلم الاجتماع والكثير من التخصّصات والمجالات الأخرى.

يكون النَّص الحجاجي موجّهاً إمَّا لفردٍ واحدٍ أو لجمهور.فالحجاج بحسب تعريف الدارسين : هو إن غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح أو تزيد فى التمسك بذلك الإذعان ، أو هو أثر مستقبلى يحدث بعد التلفظ بالخطاب ، لينتج عنه القرار بممارسة عمل معين أو اتخاذ موقف ما سواء بالإقدام أو الإحجاج ، ولذلك يكون تأثير عبارات وطريقة الخطاب عاملاً فاعلاً فى العملية التخاطبية.

يُعد الحجاج ظاهرة ملازمة لإنتاج الخطاب عند المتحدثين فلا يكاد يخلو خطاب منه ، فهو الميزة الأساسية فى النص الخطابى لتحقيق المقاصد بين المخاطِب والمخاطَب، إذ يُعد من أقدم النظريات التى تناولت التداولية فى الخطابة فى النمط الحجاجي تُبنى نظرية الحجاج على إنشاء النص الحجاجي من البرهنة باعتبارها منطلقاً استراتيجياً لذلك، وتبدأ خطوات بناء النص الحجاجي بتوظيف جميع العمليّات العقليّة التي تحفّز الفكر على الانتقال من قضية إلى أخرى .

يكتب النَّص الحجاجي بلغةٍ تقريريَّةٍ موضوعيَّةٍ، ويُعبّر عن الأفكار المُراد طرحها بوضوحٍ ومباشرةٍ. أنماط النَّص الحجاجي للنَّص الحجاجي نمطان اثنان هما: المحاورة الجدلية (المناظرة). المحاورة الخطابية.

الخطابة : نحن نتحدث عن المحاورة الخطابية التى استخدمها خطباء العرب فى خطبهم. باعتبارأن الهدف من الحجاج حصول عمل ما أو الإعداد له ويكون ذلك بالتأثير فى الذهن وذلك بواسطة الوسائل الخطابية.

فالحجاج من أساسيات التداولية التى تعنى دراسة اللغة فى الاستخدام فهى تخصص لساني يهتم بما يتلفظ به المتكلم أثناء العملية التخاطبية ، وهو خطاب مباشر (الخطابة) و هو أشهر وسائل البيان والإقناع، وأكثرها استعمالاً ،ومن وسائل الحجاج وآلياته :-

التفسير: يحتاج الموضوع الذي يطرح إلى اساليب للتفسير تساهم في توضيح ابعاده ودلالته وتجعل المتكلم قادرا على الشرح والتوضيح لغرض الإقناع وأهم اساليبه التعريف الوصف المقارنة والسرد.

الإقناع :- وبواسطته تستخدم حجج وبراهين للدلالة على صحة الموقف الذي يتحدث عنه اعتمادا على ادلة ملموسة من الشواهد أو ادلة تعتمد على مبادئ منطقية. وللاقناع ضوابط بدونها لا يحصل التسليم بالرأي.

ومن وسائل الإقناع وسائل لغوية ووسائل منطقية دلالية:-

الوسائل المنطقية الدلالية وأهم عناصرها القياس المنطقي الذي يعتبر بنية أساسية في الحجاج ووظيفته الانتقال مما هو مسلم إلى ما هو مشكل. التداول الخطابي الحجاجي ، "وهو يعنى البلاغة " [٢]

الوسائل اللغوية ومن أهمها التوكيد والشرط والنفي والتكرار اللفظي والمعنوي والسجع والتوازن الصوتي والطباق وغيره. وإذا كان الإقناع هو مجال المبحث الحجاجي فإن "الفعل" هو أهمّ وظيفة حجاجيّة في هذا المجال حيث تتطلب وعيا بآليات من شأنها تحريك المعنييّن بالكلام صوب الفعل وتغييّره بما ينسجم مع المقام، فالقول الحجاجي

هوكلام العقل الذي يدرك نفسه في كلّ أبعاده دون أن يحدّه اتجاه مخصوص فهو معقود بركنيّه الأساسيّين:–"ركن العلاقة الثنائيّة " "وركن اللّغة "القائم على العلاقة الخطابيّة " فهو استغلال لما في الكلام من قوة وثراءعلى الإقناع لما تتوفر عليه من بنيات مختلفة.

الاستدلال : " وهو أهم مواضع الحجج في القياس المضمر الاستدلالي

التضاد : وفيه تؤخذ الحجة بواسطة التضاد بين الأشياء ، كالسلم والحرب ، والنفع والضرر ، والحق والباطل

الاستهلال : وهوأن يحتوي الاستهلال لحظتين : لحظة الاستهواء والاستمالة ، وذلك حسب طبيعة القضية المطروحة ، ولحظة الإعلان عن الموضوع ، والتخطيط المتبع فى طرحه " وذلك لتحقيق غايتين ، أولاهما استمالة السامع ليتهيأ لتقبل ما يلقى إليه ، والثانية الإفصاح عما يريد الخطيب أن يخوض فيه .

العرض : لا يشترط في العرض أن يكون ملما بجميع التفاصيل والجزئيات بل " ينبغي أن يكون واضحا و مختصرا ، خاليا من الاستطراد والتشخيص ، يكتفي بالإعداد لمرحلة البرهنة .

البرهنة : تتخذ البرهنة منحيين اثنين وهما الإثبات أو النقض ، أو هما معا ، بحسب نوع الخطبة ، وفي أي منها أخذ الخطيب فعليه بعد العرض أن يسرع في البرهنة بتقديم بعض الأدلة القوية وتأخير بعضها . وتقدم الحجج تنازلا (من الأقوى إلى الأضعف) ، أو تصاعدا (عكس الأول) ، أو توزع بين الأول والأخير . إن ذلك يتحدد بالنظر إلى الظرف والمعطيات العامة التي يراعيها الخطيب

الخاتمة : ينصب اهتمام الخطيب في صياغة الخاتمة حول شيئين : الأول إثارة عواطف المستمعين بما يجعلهم يثقون فيه وفي القضية التي يتبناها ، والثاني تلخيص ما سبق من الأدلة والحجج .

الخطاب المباشر (الخطابة) يتعلق بصوت الخطيب الذي يلقي الخطبة؛ ذلك أن للصوت تأثيراً ملحوظاً على السامع، وهو الوسيلة الموصلة للمعاني إلى آذان المستمعين. فحين يتكلم الإنسان فإنه ينطق بسلسلة من الأصوات المتتابعة ، هذه الأصوات تترابط وتتآلف في مجموعات نسميها الكلمات ، ثم تنتظم الكلمات في جمل وعبارات فتؤدي بذلك إلى معنى مقصود وواضح من المتكلم إلى المتلقي ، فالكلمات حزم صوتية متشابكة ومترابطة العناصر ، لا يمكن تجزئتها صوتيا.

تعريف الخطاب :– المادة اللغوية للفظ " خطاب " المتكون من: (الخاء والطاء والباء)، "خَطَبَ" الكلام بين اثنين، وردت عدة تعاريف تختص بالمفهوم االإصطلاحى لمفهوم الخطابة جاء في أساس البلاغة "لمزمخشري : خاطب أحسن وهو المواجهة بالكلام وعرف بأنه: اللفظ المتواضع عليه، والمقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه " وعرف الخطاب بأنه: "لون من ألوان القول، يحشد به الخطيب من الأسباب ما يمكنه من التأثير على سامعيه، وجذبهم بما يسوق من الحجج والبراهين المقنعة"[٣] – ويقال: "خَطَبَه، يُخَاطِبُه، خِطَاباً "، و "الخِطَاب، والمُخَاطَبَة" مراجعة الكلام، وقد خَاطَبَهُ بالكلام مُخَاطَبَةً وخِطَاباً، و "الخُطْبَةُ" مصدر الخَطِيب، وخَطَبَ الخَاطِبُ على المنبر ، والخَطَابَة هي "قياس مركب من مقدمات مقبولة، أو مظنونة، من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم. جاء تفسير مصطلح "الخطاب في لسان العرب " قال ابن منظور: إن الخطبة مصدر الخطيب، لا

يجوز إلا على وجه واحد، وهو أن الخطبة: اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب، فيوضع موضع المصدر ، ورجل خطيب (حسن الخطبة) وجمع خطيب خطباء ، وخطُبَ بالضم خطَابة ، صار خطيباً.و قد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا "[٤] والخطاب هو الكلام الذي يقصد به الإفهام، بما يفسح للتأمل والتدقيق في مدى عمق لفظ الخطاب بما يخرج به عن مجرد المفهوم اللغوي باعتبارهً مراجعة وكلام يقصد به عموم الإفهام ؛ إلى دلالات الحكمة من وضع الأمور في موضعها وتدبيرها على الوجه الأكمل .

عُرِفت الخطابة بأنها" قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة "[٥] . يمكن أن نستخلص من هذا النص أن الخطابة . . صناعة تشتغل وفق أدوات وآليات معينة ، يجتهد الخطيب من خلالها لكي يقنع المتلقي للخطاب ، في جميع المجالات ." فهى التي تتكلف الإقناع في الأمر "[٦]

ارتبطت الخطابة بكونها فنا من فنون القول . بالظروف السياسية والفكرية والاجتماعية التي كانت تسود المجتمع العربى الجاهلى .، فالخطابة في معناها العميق المتسع تعني إمكانية قيام فضاء للتعامل بين الناس على أساس اعتبار الاختلاف من تعدد الرؤى وتباين المواقف ، وبالتّالي فالحجاج عبارة عن "تصوّر معيّن لقراءة الواقع اعتمادا على بعض المعطيات الخاصّة بكلّ من المحاجج والمقام الذي يبث خلاله هذا الخطاب .فإن الحجاج ليس إلاّ استغلال لما في الكلام من قوة وثراءيظهر أن الاهتمام منصب على ما في اللغة من قدرة على الإقناع لما تتوفر عليه من بنيات مختلفة.الحجاج الاقناعي موجّه إلى الجمهور الخاص وهو الجمهور الواسع أو إلى كلّ ذي عقل،وهذا الجمهور(قارئ ومستمع)لا يخضع للضغوط والأهواء والمصالح ،

والشّكل فى مثل هذا الخطاب يرتبط بالمضمون ، لذلك لا بدّ من دراسة الأساليب والأبنية الشّكلية و علاقتها بالهدف .

الحجاج يتميز بخمسة ملامح رئيسة هي:

١– أن يتوجّه إلى مستمع.

٢– أن يعبّر عنه بلغة طبيعيّة يفهمها المستمع

إن البلاغة وصورها المجازيّة في التّخاطب تعمل على تأسيس فعل الحجاج واغنائه "فيصبح الحجاج ما تتيحه البلاغة من صور بيانيّة"لأنّ الإنسان يستخدم عبارات يريد من ورائها إبراز الفكرة أو تأكيدها أو إلغائها وهذا يبرز "أن ما يفهمه الإنسان أو يؤمن به أو يعتقده مقيد بأشكال متعدّدة من المفاهيم "الماديّة والمعنويّة والقوليّة والمجازيّة"[٧] فالأمر مرتبط ببنيّة

اللّغة، لأنّ الجزء التّداولي فيها يكون مدمجا في الدّلالة , الحجاج موجود في" بنية اللّغة ذاتها، ، إذن " الحجاج خاصيّة لغويّة دلاليّة وليس ظاهرة مرتبطة بالاستعمال في المقام"[٨]

فترابط الأقوال" لا يستند إلى قواعد الاستدلال المنطقي، وإنّما هو ترابط حجاجي لأنّه مسجّل في أبنية اللّغة بصفته علاقات توجّه القول وجهة دون أخرى، وتفرض ربطه بقول دون أخرى .

الحجاج في اللّغة هو بيان ما يتضمّنه القول من قوّة حجاجيّة تمثل مكونا أساسيّا لا ينفصل عن معناه و يجعل المتكلّم في اللّحظة التّي يتكلّم فيها يوجّه قوله وجهة

حجاجيّة معيّنة. هدف الحجاج فهو التّوجيه وهو على مستويّين على مستوى السامع "[٩] ، أو مواساته أو إقناعه أو جعله يأتي عملا ما إزعاجه أو إحراجه وغير ذلك . فالخطاب رسالة ذات هدف ودلالة وهو الكلام المنطوق أو المكتوب الذي يمثل وجهة نظر محددة من الجهة التي توجه الخطاب، ويفترض فيه التأثير في السامع أو القارئ، مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف والملابسات التي صيغ فيها الخطاب بدلالة الزمان والمكان

والخطبة تعبر عن قدرة الخطيب على التصرف في فنون الكلام ، مرماها التأثير في نفس السامع ومخاطبة وجدانه وحديثاَ عرفت بأنها :– "علم له أصول وقوانين تمكن الدارس من فهم الكلام وتعرفه بوسائل الإقناع بالخطاب في أي غرض من الأغراض الكلامية و لها من التإثير فى نفس السامع "ملكة الاقتدار على الإقناع واستمالة القلوب وحمل الغير على ما يردا منه"[١٠] .ينبغى على الخطيب أن يمتلك قوة البيان وفصاحة اللسان، "فينبغي لمن يريد أن يعتلي المنبر أو يقوم مقام الخطيب أن يعلم من نفسه القدرة على الخطابة"[١١]، ولفصاحة اللسان أثر في الخطبة وتأثيرها على المستمعين،وأن يكون الخطيب ذاثقافة لغوية وأدبية، "أن يتعلم قواعد اللغة العربية من مصادرها، ويعرب كل كلمة يقولها" ومعنى هذا أن للخطاب شروطا تعمل على تقييده ، هى شرط استخدام الحجج والبراهين وشرط النفع، وشرط التوجه بالكلام إلى الغير، وشرط إفهام الناس

إن مصطلح الخطاب يعني "جملة ما يصدر عن المتكلمين من مضامين تتلاءم مع مفاهيم المجتمع المعين ، بعد فهم ظروف واقعهم وما يحتاجه الجمهور واستمالة المتلقي للخطابالدعوي، وجعله يتأثر به ويستجيب له" إن الخطاب يعد بنية لغوية متكاملة، مادته الخام هي الأصوات المتآلفة مع بعضها، فهو نص ينضح بالعطاء وينبض بالحياة، كما يزخر بالدلالات والمعاني النابعة من الحالة النفسية والشعورية، ولعل العواطف والأحاسيس ومخاطبة الفكر أهم العناصر التي يقوم عليها، فهو ذو طبيعة حسية يخضع لنوع من التنظيم أو التشكيل، يبين عن شعور بلغ درجة الإنفعال، فمخاطبة الوجدان والعقل تستعمل فيه علامات اللغة الطبيعية لتوصيل المضمون، ولذا يجب أن تكون جميع العناصر المكونة له دالة دلالة قطعية على المعنى ، ويتوجب على الخطيب نظم خطبته بشكل يراعى فيها ما يسمى بالتشكيل الصوتي حتى ينعكس في نصه الإبداعي نوع من الانسجام الناشئ أساسا من توزع خاص للصوامت والصوائت داخل الكلمة المفردة، أو النسيج اللغوي المتلاحم .

الخطابة هى احدى الفنون الادبية ، ارتفعت مكانتها فى العصر الجاهلى :"برزت كفن يخاطب الاخرين بطريقة القائيّة تشتمل على قوّة تتكلّف الاقناع الممكن فى كل واحد من الأمور المفردة، إحدى الفنون الراقية التى يحتاجها الانسان خاصةً العلماء والمفكرين ومبلغيي الرسالة الإلهيّة وخدمة أهل الوحي والائمة والسائرين على درب الإصلاح والتحرير والسالكين طريق القيادة والتدبيروهى فن براعة الإنسان فى عملية التأثيرعلى الإنسان الآخر فى كلّ القضايا المتصلة بحياته العامّة وسلوكه فى الدنيا

وعمله للآخرة، و هي أشدّ الانواع الادبية التزاماً، لأنّها تهدف ابداً الى التأثير والإقناع، معبّرةً عن عقيدة الخطيب ورأيه فى مشكلات الموجود، تشتدّ بإشتداد الأزمات الّتي ترتبط ارتباطاً جذريّاً بمصير الجماعة وتقرير مستقبلها.

وقد كانت أسباب الخطابة متوفرة لعرب ماقبل الاسلام أي الجاهلية، فهم متمتعون بحرية قلما توفرت لغيرهم ولهم مقدرة قوية على الحديث، واللغة العربية ذات نغم يثير المتكلم والسامع ويبعث الخطيب على الاستمرار في حديثه ولهذا كانت لهم مقدرة على الكلام المرتجل ومواجهة المواضيع التي تطرأ من غير أن يكونوا قد اعدوا له حديثاً من قبل، وعلى هذا النمط الارتجالي تأتي على السنتهم العبارات البليغة والحكم الصائبة قال الجاحظ : " فما هو إلا أن يصرف العربي همه إلى جملة المذهب وإلى العمود الذي إليه يقصد فتأتيه المعاني إرسالاً وتنهال عليه الألفاظ انتهالاً "[١٢] وجاءفي تعريف الخطابة:"أنّهاضرب من الكلام غايته التأثيرفى الجمهور عن طريق السمع والبصر وهي فطريّة فى الانسان كالنطق"[١٣]

بهذا يتبين أن الخطاب هو: كل كلام نافع، يسوق الحجج والبراهين، قَصَد به المخاطِب من يخاطبه، بعد أن التزم به فعليا، بغرض إفهامه أمرا معينا، والتأثير فيه تأثيراً يحمله على الإلتزام به أمّا مُصطلَح الخِطاب فيُشارُ بِه إلى كيانٍ لغويّ يتعدّى الجملةَ من حيثُ الحجم، ويُلابسُ خصائصَ غيرَ لغويّةٍ، دلاليّة وتداوليّة وسياقيّة، ويُتّخَذُ موضوعاً لدرسٍ لسانيّ منفصلٍ يُدعى بلسانياتِ الخطابِ أو تحليلِ الخطابِ في مُقابِل لسانياتِ الجُملةِ. فيدخُلُ في الخِطابِ الكَلامُ والمُتكلِّمُ وبيئةُ المخاطب وسياقُه

وأساليبُ التّخاطُب التى توجه إلى وَعْيِ المُخاطَب لتغْييرِ شأنه وحالِه والتأثيرِ فيه وإقناعِه بالمضمونِ الجَديدِ والرّسالةِ الجَديدَة .

اقْتَضى تَحوُّل الأنْساق المعرفيّةِ وتطوُّرُها والانتقالَ من نحو الجُملَةِ إلى علم لُغَةِ النّصّ أو لسانياتِ النّصّ، ومن النظرَةِ الجُزئيّةِ للخطابِ وما يُرافقُ ذلِك من هيْمَنَةِ الوُقوفِ عندَ حُدودِ الكلمةِ المُفرَدَةِ إلى النّظرَةِ الكلّيّةِ الشّاملةِ للنّصّ المكتوبِ والخِطابِ المُنجَزِ، وإلى التّحليلِ اللغوى للخطاب، وأصبحَ تَجاوُزُ الجُزئيِّ إلى الكُلّيّ طريقةً في التّناوُلِ ومنهجاً في التّحليلِ اللسانى ،يكشفُ الأدبَ بأجناسِه وإبداعاتِه ونُصوصِه، ويُبرهنُ على نصّيتِه وكلّيتِه وتَناسُقِ أجزائه وانْسجامها. فقَد أحرزَت اللسانياتُ النصّيّةُ وتحليلُ الخطابِ والأسلوبيّةُ الحَديثَةُ والتّحليلُ التّداوُليّ للخطابِ تقدُّماً معرِفياً ومنهجياً؛ إذ أتاحَت للباحثينَ والقُرّاءِ أن يقفوا في النّصّ المَدْروسِ على عناصرَ وخَصائصَ وعلاقاتٍ لم يكنِ بوُسعهِم الوُقوف عليْها بنحو الجُملَةِ أو لسانياتِ الجُملَة.

إن لسانيات النّصّ تُؤدّي إلى اكتشافِ بلاغَةِ الخطابِ والوُقوفِ على جمالياتِه وقِيَمِه البَلاغيّةِ المُتجدّدةِ، التي لا يَقْوى نَحوُ الجُملِ المَحْدودُ على استخْراجِها، وأتاحَت لسانياتُ النّصّ الانفتاحَ على مجالاتٍ معرفيّةٍ وثَقافيّةٍ مُختلفةٍ، ولم تَعُد دراسةُ اللّغَةِ منحصرةً في دائرَةِ الأصواتِ والتّركيبِ؛ ولكنّها في ظلِّ لسانياتِ النّصّ وتَحليلِ الخِطابِ انفَتَحَت على الأنساقِ المعرفيّةِ؛ لأنّ اللّغاتِ الإنسانيّةَ تمثّلُ مرتكَزاً رئيساً

للثّقافَةِ ومرآةً حقيقيّةً لها فانفتاحُ النَّسقِ اللّسانيّ على مَيادينَ معرفيّةٍ مُختلفةٍ، يُمكِّنُ من اسْتيعابِ النُّص وتَناوُلِه بالدّراسَةِ الشّاملَةِ التي تُحيطُ بأجْزائه ومُؤلِّفاتِه .

احتلت دراسة الأصوات جانبا كبيرا من جهود علماء العربية قديما وحديثا، لا سيما مناسبة الصوت للمعنى، قال ابن جني:"اعلم أن هذا الموضوع شريف لطيف، قد نبه عليه الخليل، وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته"[١٤]. الانسجام الصوتي من الظواهر البارزة في اللغات، فإذا ما اشتملت كلمة على بعض الأصوات المتباينة نراها تتغير وفي أثناء هذا التغير تحاول تقريب تلك الأصوات فيما بينها، ومن هنا تقع عملية التأثير والتأثر بين الأصوات اللغوية، والتي هي مصدر التغيرات الصوتية حيث قال يعبر بهاكل قوم عن أغراضهم"[١٥]

فظاهرة الإنسجام الصوتي خاضعة لموقع الأصوات وتآلفها في شكل تتابعي معين ليعطي هذا التناسق الصوتي دلالة معينة، وبهذا تحقق اللغة التفاهم بين أفراد المجتمع، كما تنقل التجارب والخبرات الإنسانية للأخر"المتلقي" فاللغة وسيلة اتصالية إنسانية والصوت مادتها الخام، وتعدُّ الأصوات أول الطريق لمعرفة بلاغة الكلام، لما تملكه من طبيعة نغمية يحصل بها تصور ذهني لطبائع الأصوات، فلكل صوت من أصوات العربية طبيعته النغمية الخاصة به، فتناسق أصوات العربية على نوع من التشاكل النغمي هو من طبيعة اللغة العربية في تقسيم أصواتها، فاللغة العربية مهيأة تماما لان تكون لغة شاعرة، فهي لغة ناطقة يستعمل فيها جهاز النطق أحسن استعمال، يهدي إليه الافتنان في الإيقاع الموسيقي. حيث يرتبط الصوت بمناسبة المعنى

وتصلح بعض الأصوات لمعان معينة، فهنالك قسم يناسب المعاني العنيفة، وآخر يناسب المعاني الرقيقة الهادئة، وأساس التقسيم: صفاتها ووقعها في الآذان، يبدو أن لكل لفظ جرسًا موسيقيا خاصًّا به، وتتجلى قدرة الخطيب على اختيار أفضل المفردات المناسبة في جرسها لمعناها السياقي، وتحقيق إيقاع للتركيب، وللنص بكامله يتلاءم ودلالته،ولعل تعريف ابن جني من أدق التعريفات وقال ابن خلدون : "اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئة عن القصد لإفادة الكلام فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في أمة بحسب اصطلاحاتهم "[١٦]

فالكلام البشري يعد بمثابة سلاسل صوتية يرتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا، فالمتكلم لا يعبر عن خلجات نفسه، ولا يبين عن مقاصده وأغراضه بأصوات مفردة منعزلة مجردة، بل ينتج كلمات وجملا وعبارات مادتها الأساسية (الأصوات) في اللغة المنطوقة ." هذه الوحدات الصوتية تمثل "المظاهر الأولى للأحداث اللغوية، كما أنها بمثابة اللبنات الأساسية التي يتكون منها البناء الكبير الذى يكون له الأثر في الكلام العادي، و الخطبة خاصةلأن الغرض منها التأثير في النفوس، و الإنسجام الصوتي والتوافق الموسيقي الخاضع لموقعية الأصوات وتأليفها في شكل تتابعي معين محدد يعطي دلالة معينة أهمها خروج الأفكار ناضحة وأساليب تأديتها منقحة مهذبة معبرة ومؤثرة.

يجب أن يكون النص اللغوي فى الخطاب وحدة كبرى شاملة تتشكل من أجزاء مختلفة. والنصوص الخطابية تعد حقلا خصبا لهذه الدراسات العلمية لما تزخر به من قيم صوتية وصرفية وتركيبية ودلالية ومعجمية. وبما أن الخطبة فن نثرى قائم على أساس انفعالي وعاطفي فإن الإيقاع يظل واحدا من أشد الأشكال تعبيرا عنها وأحد العناصر الأساسية المحققة لاهداف النص وجماليته، والنص الإبداعي لا يمكن عزله بأي حال من الأحوال عن الظروف، والملابسات المحيطة به سواء من الناحية السياسية، والاجتماعية، والدينية، والثقافية؛ ذلك لأن الخطاب يجب أن يكون شديد التأثر بما يجري حوله من أحداث. هذه المؤثرات الخارجية تضفي قدرا من المعلومات والإضاءات المعرفية التي تساهم في فهم النص من جوانب متعددة.

ومن أهم غايتنا في هذا البحث إظهار الصلة بين وحدات التشكيل الصوتي (المقطع، النبر، التنغيم، الموسيقى) التي لها كبير الأثر في الخطاب ودلالته، ذلك أن التشكيل الصوتي عملية تقوم على التأمل من أجل فهم المعنى والتأثر .إضافة إلى إظهار الإنسجام الصوتي في الخطبة حيث تنضح بالموسيقية المعبرة عن تدفقات عاطفية معينة ، إن الإيقاع وسيلة من وسائل المخاطبة الفاعلة التى تستخدم بغية تأدية الغرض الخطابى المنشود ، إضافة إلى الغرض الفني الذي يهدف إلى التأثير والتمكين في المتلقين بقصد الاستجابة والإذعان.

إن الخطاب لا يفهم من خلال أحد مستويات التحليل كالتحليل اللساني أو الصرفي أو الصوتي أو التركيبي أو الدلالي، بل يفهم من خلال تطبيق كل هذه

المستويات مجتمعة، فإن ربط التراكيب بالمستوى البلاغي يؤدى إلى فهم الفكرة وتجلية المعني كذلك يرتبط التحليل الصوتي بالمستوى الفكري والمنطقي الذيي يريد الخطيب أن يعبر عنه وفقاً للقضايا والأحداث والمواقف المختلفة، والتي يمكن أن تتمثل في التشريعات والأوامر والنواهي التي يقتضيها الموقف أو الموضوع المراد.

بقراءة النص يتبين أنه تحققت فيه شروط الاتساق تركيبيا ودلاليا ومعجميا عبر روابط ووسائل لغوية. وبتمعن مضمونه نعرف أنه نص يتناول قضية ما،فمكونات النص تجمع بينها علاقات متينة يدركها المتلقي، ويستطيع تأويلها تأويلا مناسبا ،وهو ما يحقق انسجامنا مع النص .وهذا الانسجام تم عبر عدة مستويات أو مبادئ وعلى رأسها:

السياق : الذى يتشكل من علاقة النص بالقارئ مما يمكنه من تحيد ظروف القضية وزمانها ومكانها ...فعند قراءة النص يتبين أنه نص يعالج قضية محددة.وهو مايقربنا من النص وجعلنا ننسجم معه .

الانسجام : وهو في اللغة هو ضم الشيء إلى الشيء، و في الاصطلاح هو مجموع الآليات و العمليات الظاهرة والخفية التي تجعل قارئ خطاب ما قادرا على فهمه وتأويله،وهناك مجموعة من المبادئ والعمليات التي تساهم في تحقيق وبتتبع مبادئ الانسجام المحصلة نجد أنها تحققت عبر مجموعة من العمليات التي قربت بين النص والمتلقي وأول هذه العمليات المعرفة الخلفية ،وهي المخزون الفكري والثقافي الذي يجعلنا نفكك ونأول المفردات المختزلة في النص فنتعرف دلالاتها وأبعادها الفكرية

التأويل المحلي : ويرتبط بقرائن النص التي يؤول بعضها بعضا ،فنعرف موضوع النص والعلاقات والقرائن التي تربط بين عناصره .

عوامل نجاح الخطبة:-

تزداد قيمة الخطاب وأهميته كلما اقترن مضمونه بما هو نافع للإنسان : أي يجب على الخطيب أن يصبو إلى تحقيق مقاصد خطبته من خلال تبليغه الخطاب: "كل خطاب قصد به الخطيب الحجة وإفهام المدعو من أجل تحقيق مقاصد خطابه مستعينا في ذلك بجميع الوسائل الأساليب والمناهج المناسبة والمشروعة ."[١٧] ولنا فى التراث العربي نماذج يجب الإقتداء بها . لا قيمة للمفردات أو العبارات بعيدة عن سياقها، فلا بد من دراسة المفردات والعبارات التي يوجهها المتكلم داخل السياق، ومن خلال الظروف المحيطة به، ومن خلال زمان ومكان التخاطب، لكي تتضح مقاصد المتكلم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطب والتي يرمي إليها المتكلم.للموسيقى والنغم أثر في شد المتلقي وجعله أكثر انتباها، وأشد إصغاء، وهذا ما نسميه بموسيقى الكلام.

براعة الاستهلال :

ومن أهم مميزات الخطبة التى تتعلق ببنيتها المقدمة أو الافتتاحية مهمة جداً لأنها أول ما يقرع أذن المستمع من الكلام ويسبق هذه المقدمة في العادة الاستهلال .ومن بلاغة المتحدث براعة استهلاله ، فيأتي بعبارات الاستهلال التي توحي للسامع

بمقصود الحديث ، مما يشد الانتباه ويهيء النفوس تتجلى براعة الاستهلال عند الخطيب فى لحظة الاستهواء والاستمالة ، وذلك حسب طبيعة القضية المطروحة والاستهلال ينبغي أن يتجه إلى تحقيق غايتين ، أولاهما استمالة السامع ليتهيأ لتقبل ما يلقى إليه ، والثانية الإفصاح عما يريد الخطيب أن يخوض فيه .

البرهنة : تتخذ البرهنة منحيين اثنين وهما الإثبات أو النقض ، أو هما معا ، بحسب نوع الخطبة ، وفي أي منها أخذ الخطيب فعليه أثناء عرضه للموضوع ان يقوم بتقديم بعض الأدلة القوية التى تؤكد صدق ماذهب إليه، وذلك بحسب الظرف والمعطيات العامة التي يراعيها الخطيب .

المناسبة الصوتية :-

أن التحليل النصى للخطبة بما فيها من إيقاعات يساعد كثيرا في فهم طبيعتها، وفي الكشف عن الجوانب الجمالية فيها، وعن الانفعالات النفسية والعواطف التي تحكم مبدعها، وتدفعه إلى اختيار إيقاعات معينة، فمادة الصوت هى أساس الإنفعال النفسى ، وهذا الإنفعال بطبيعته هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرجه فيه مدا أو لينا أو شدة . ونستطيع أن نحكم على عمل الأديب أو المبدع من خلال توظيفه الأصوات والنغم في دعم المعاني في النصوص التي أبدعها.

الصوت هو اختيار جرس الحرف المناسب للمعنى المطلوب فالاصوات وتوافقها، والنغم والإيقاع والكثافة والإستمرار والتكرار والفواصل، كل هذا يتضمن إمكانيات تعبيرية هائلة .لنعلم أهمية ما في النص من موسيقى وأنغام، يكفينا مما نراه من أثر على نفسية السامع حزنا كان أم فرحا "فإذا سيطر النص على السامع وجدنا له انفعال في صورة الحزن حينا والبهجة حينا آخر والحماس أحيانا، ويعد التحليل الصوتي واحدا

من مستويات الكشف عن جماليات النص ودلالاته، والكشف عن قدرة المتكلم ومهارته في انتقاء المفردات لتكون منسجمة مع دلالة النص .

إن الدارسة الصوتية في جانبها المقطعي تساعد بشكل مباشر في رفى مهارات فن الأداء والإلقاء " الصوتي السليم وذلك من خلال إبراز مقاصد الخطاب. كما تساعد أيضا في ضبط اللغة السليمة ، هناك مؤثرات سمعية انطباعية ذات وقع تأثيريّ على الوجدان، يدركها المستمع، أي لا يعرف مصدر تأثيرها، وهذه المؤثّرات هى أحد أسباب رشاقة الأسلوب وارتياح النفس، وتتلخّص في الانسجام الصوتيّ العام للخطاب.

المناسبة الصوتية : هي تجاور الحروف بانسجام صوتيٍّ متلائم وعدم تنافرها .الصوت والمناسبة الصوتية تستعملان للوصول إلى أغراض إيحائية تضيف إلى معاني الألفاظ أبعاداً إضافية ما كان لها أن تتحقّق لولا ما تحملانه من طاقة إيحائية تؤثر على وجدان السامعين، وهذه الطاقة الإيحائية هى ما يستعمله الخطيب لإفهام الحاضرين .وما يستعمله الخطيب على المنبر من مؤثرات صوتية من شأن لغة الخطاب، فالخطيب ويرفع صوته في مكان ويخفضه فى موقع آخر . والمناسبة الصوتية تعني : "المشاكلة والمقاربة"، . تعنى الترابط اللفظي والمعنوي بين ألفاظ الخطاب، للوصول إلى بناء فكري و لغوي متكامل وشامل، وأنه يشكل وحدة نسقية، وصولا إلى معنى رابط جامع عقليا كان أم حسيا وغير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني

إن تغيير نبرة الصوت حسب الموقف من أهم ما يميز الخطيب الناجح المتقن لخطبته من أسباب ضعف التأثير، وتطرق الملل إلى السامعين ، أن يتحدث المتحدث بطبقة رتيبة على وتيرة واحدة . أصلاً تركيز الجمهور على نبرة الصوت أكثر من تركيزهم على الكلمات .ولهذا ، فإن المتحدث الناجح يغير نبرة صوته في الجمل المناسبة بما يتوافق مع أسلوب الجملة .كل أسلوب من أساليب الكلام له نبرته الخاصة ، كالخبر ، والاستفهام ، والحزن ، والغضب ، وغيره . إن نبرة الصوت لها أهمية قصوى فى فهم السامع للكلام ، بل قد ينقلب معنى الجملة بسبب تغير النبرة ، الصوت فطري لا يمكن أن نغيره .. لكن تغيير نبرة الصوت حسب الكلام أمر يعطى الموضوع أبعاد دلالية تؤدى إلى فهم الموضوع ، فالانتقال الصوتي الذي يتم من خلال التوقف المناسب ، وتغيير نبرات الصوت وانخفاضه أو ارتفاعه .

يجب على الخطيب مراعاة خصائص الانسجام الصوتي العام و التناسب مع الموضوع والفكرة شدة ولياً وسرعة ومكثاً فالجرس القوي والنغمة الشديدة تناسب شدة الصورة والفكرة. والجرس الهادئ والنغمة الناعمة تناسب المشهد الحلو الجميل والصورة المحبّبة .

إن إلمام الخطيب بالجوانب المقطعية تساعد فى رقى مهارات فن الأداء والإلقاء حيث يعمل الصوت السليم فى إبراز المقاطع بدقة عند مخاطبة المستهدفين من الخطاب كما تساعد أيضا في ضبط اللغة السليمة ،فاللفظة تستمد حياتها وهويتها وقوتها من الأصوات التي تتألف منها، ومن السياق الذي ترد فيه. ، ومن ثم بين اللفظة والسياق علاقة لأن الدلالة الكلية للسياق لا تتحدد إلا بدلالة الألفاظ المكونة له، فاللفظة بدلالاتها السياقية المتنوعة تضفي على السياق ظلالا مختلفة تكسبه تنوعا

دلاليا.ولذا يجب ان يتسم الخطاب الدعوى بصفات تجعله مؤثرا على من يستمع إليه ومن أهم هذه المؤثرات :–

جمال صوت الخطيب

إن صوت الخطيب مُترجِم عن مقاصده، وكاشفٌ عن أغراضه، ومصاحبته للألفاظ إذا كان الإلقاء جيداً بمثابة بيان المعاني التي أرادها الخطيب، وهو المُعَوَّل عليه في إيصال الخطبة إلى السامعين، ومِنْ ثم إلى قلوبهم. "وقد سمّاه الأقدمون: نوراً؛ لأنه يحمل شعلة الضياء إلى الأذهان"[١٨]. وكم من الخطباء الذين يُبهرون السامعين بحسن أصواتهم وجودة إلقائهم أكثر من سحر بيانهم..وكم من أشخاص سمعنا خطبهم، وتأثرنا بها! فلما قرأناها مكتوبة لم تكن كما سمعناها، مع أنها لم تزد حرفاً ولم تنقص حرفاً؛ مما يدل على أن للإلقاء والصوت أثراً كبيراً على السامع. إنَّ انسِجام الخطابٍ هو الغاية الرئيسة لإتمام عملية التواصُل اللغوي، والاتِّصالُ ذو طبيعة اجتماعية، ومِن ثَمَّ فهو يخضَع للسَّنن اللغوي الذي فرضتْه الجماعة اللغوية، وهو من ناحية أخرى يتَّصِل بمُنتِجه؛ فهو ذو طبيعة فردية تعتمِد على السنن اللغوي لإبراز رسالة تحقِّق التواصُل اللغوي ، يجب علي الخطيب أن يُلون صوته علوا وهبوطا حسب المواقف الكلامية ، والأصوات أنواع، ولكل صوت ما يناسبه من طرق الأداء والإلقاء؛ فما يحسن من الأداء في صوت قد يقبح في آخر

وصف علماء الأصوات الكلام الجيد بأنه "ذاك الكلام الذى يحتوى على صفات أخرى بجانب النطق السليم وذكروا من هذه الصفات"[١٩] :–

استعمال النغمة النبرية الملائمة للمواقف المختلفة
التوزيع الصحيح للشدة على أجزاء الكلام
توزيع الكم الزمنى للأصوات توزيعاً صحيحاً
توزيع التلوين الصوتى توزيعاً مناسباً

الإيقاع الناتج من التقابل:-

يمثل الإيقاع أحد أهم أركان أيّ عمل فني و هو العنصر الهيكلي الرئيسي في كل الفنون، و يُعدُّ الإيقاع أساساً من أسس تأليف النص وبنائه وبدونه يتعّذر العمل الإبداعي سواء كان نثراً أم شعراً الإيقاع بمفهومه العالم هو التنظيم، أما الإيقاع مصطلح فني له حدوده وقوانينه في الشعر والنثر معاً إن لفظة الإيقاع تعنى الجريان والتدفّق، وهو صفةً مشتركةُ بين الفنون جميعاً، ويحدث الإيقاع بالأفادة من جرس الألفاظ وتناغم العبارات لإحداث التوافق الصوتي بين مجموعة من الحركات والسكنات لتأدية وظيفةٍ سمعيةٍ والتأثير في المستمع ويأتي الإيقاع من اختيار الكلمات من حيث كونها تعبرعن قيمة التأثيرالذي تحدثه وظيفة الكلمة في مدلولها الإيقاعي، فهو إحداث استجابة ذوقيةٍ ،كما أن عدد الكلمات التي تكون الإيقاع بتركيباتها تعتمد تماماً على عدد الكلمات اللازمة لتوصيل المعنى في النثر و"الإيقاع في الإصطلاح الأدبي هو حركة النغم الصادر عن تأليف الكلام المنثور والمنظوم والنتائج عن تجاور أصوات الحروف في اللفظة الواحدة وعن نسق تزاوج الكلمات فيما بينها وعن انتظام ذلك كله، سواء في سياق الأوزان أوالقوافي"[٢٠]

إن النثرعامّة والخطابة خاصةً لا يخلوان من الإيقاع. إن للنثر إيقاعه، وبمعنىً آخر أنه يقوم على إيقاع الفقرة اوالسطر لأنه يستند بقوة إلى الفصل والوصل" "إيقاع النثر فيقوم

على فصل ووصل من نمط مختلف ينشئه البعد الدلالي المتعلق بامتداد النفس، والضغط النابع من تموجات التجربة والقراءة والحركة الداخلية للهجة الشعرية "[٢١] إن الإيقاع يجمّل النثر ويضفي عليه صبغةً فنيةً كما أنه يختلف عن الوزن اختلافاً جوهرياً، إن الغاية من هذا تحقيق ثمرتين: "هما القيمة الجمالية والقيمة التعبيرية أي أن جمال الإيقاع مستفاد من تناسب العناصر في وزنها وحركتها وشكل نظامها فضلاً عن قدرة الإيقاع على التعبير والتصوير والتأثير"[٢٢]

حسن اختيار الكلمات والجمل:-

يجب على المتحدث أن يختار الكلمات العربيةَ الواضحةَ سهلةَ النطق لا يتعثر اللسان في إبرازها .وأما الجمل فالأفضل أن تكون قصيرة ، كثيرة الإنشاء والوصف . مع ضرورة الابتعاد عن الكلمات الغريبة الوحشية أوالألفاظ الطنانة الرنانة التي تزيد الموضوع إبهاماً وتعقيداً

الوحدة الموضوعية وسلاسة الانتقال

المتحدث الجيد يصوغ موضوعه على شكل وحدة موضوعية تتكون من عدة أقسام متدرجة ، بحيث ينتقل من الفكرة إلى التي تليها بترتيب واضح ومنطقي ، وهذا الأمر يعين المستمع على المتابعة ، واستيعاب الموضوع .ليس من المناسب أن يتكلم المتحدث مثلاً عن مظاهر الموضوع ، ثم عن نقطة في العلاج ، وتارة أخرى في الأسباب ، ثم يعود إلى الحديث عن المظاهر ، وهكذا ، وهذا يشوش على المستمع . فكيف يتنقل بين أقسام الموضوع؟ هناك عدة أساليب للانتقال من فكرة إلى أخرى .

الفصاحة والبيان :-

ونعني بالبيان الساحر الأسلوب البلاغي الذي يسحر القلوب ويأخذ بالألباب – فيعتني الخطيب بالبلاغة وسرد الأمثال وسوق الأشعار وإيراد الحِكَم .ولغتنا العربية مليئة بالأساليب البلاغية التي يمكن للخطيب أن يختار منها ما يناسب المقام. من الأساليب البلاغية السجع : وإذا أراد المتحدث السجع فليختر منه ما ليس بمتكلف ، قصيرَ الفقرات ، سهلَ المأخذ . كما يجب توضيح الأفكار بأحوال واقعية ومحددة إذا تحدث الخطيب عن فكرة يجب أن يكون واقعياً ، بمعنى يجب أن تلامس الفكرة تلامس واقع الناس ، ثم يجب أن يكون محدداً ، يعني حدد الصورة وخصص الكلام بأحوال معينة .فالحديث عن أمر واقع أولاً ومحدد ثانياً يزيد من الوضوح ، ويزيد أيضاً من الإقناع والإثارة .

مراعاة السامعين

ينبغي للمتحدث أن يراعي السامعين في اختيار الكلام ، إذا كانوا من عامة الناس ينزل في العبارة على قدر عقولهم ويتجنب الألفاظ اللغوية البعيدة عن مداركهم ، وإذا كانوا من الخاصة يتأنق معهم في الكلام ، فيكون حكيماً مع جميع الفئات ، يضع الأشياء في مواضعها .

أسلوب الوصف التصويري في عرض القصص أو الحوادث

هذه مسألة أساسية في الخطابة العربية . و أحد أسرار البلاغة في لغتنا العربية ، وسر من أسرار الإلقاء المؤثر .ويكمن سر هذه المسألة في التعبير بالفعل المضارع في عرض المشاهد والأحداث بدلاً عن الفعل الماضي ، مع إضافة بعض الأوصاف والمشاعر الحاضرة التي تتضمنها القصة . الغرض البلاغي من تصوير المشهد بهذا الأسلوب : أن يستحضر المخاطب صورة المشهد في ذهنه ، كأنها ماثلة أمامه ، فيستولي الخطاب على قلبه ، ويحرك مشاعره .

المقارنة بين الواقع والمأمول

عند نقد الأخطاء ، وتقويم السلوكيات يسأم كثير من الناس من الأفكار النظرية في إنكار السلوك الخاطيء .. لكنهم يتفاعلون أكثر إذا عرض الخطيب بعض المشاهد من أحوالهم الملموسة ، وقارن بين هذه المشاهد ومشاهد من الأحوال الصحيحة المأمولة .إن أحوال المجتمع التي يعيشها فيها هي أكثر الأشياء إثارة لاهتمامهم . لأن كل واحد منهم حال سماعه للخطبة يشعر أنه معني بهذا الكلام دون من سواه .

تكرار المعاني المقصودة لذاتها

وهذا النوع يجب أن يكون يكون بعبارات جديدة ، وبأساليب مختلفة ، مرة بالتقرير ، ومرة بالاستفهام ، ومرة بالترغيب أو الترهيب، ومرة بالاستنكار ، وغيرها من الأدوات اللغوية .فإن تكرار هذه الكلمات يؤدى إلى تثبت في قلوب السامعين

جمال الخاتمة : يجب على الخطيب أن يصوغ الخاتمة بمراعاة :– إثارة عواطف المستمعين بما يجعلهم يثقون فيه وفي القضية التي يتبناها ، والثاني تلخيص ما سبق من الأدلة والحجج .وذلك لتحقيق وتركيز ما أراد ان ينقله للسامعين وذلك بالإعادة بعض الأفكار وتلخيصها ،ثم تحقق المستوى من العواطف التى تجعل السامع منفعلاً بما سمع

المبحث الثالث :– مظاهر الحجاج فى الخطبة العربية قديما :–

من صفات البيان التى ظهرت فى الخطبة العربية :– من الدلالة ومن البيان . الدلالة بالحجة والإقناع والدليل. والبيان باللفظ والأسلوب وسحر الكلمة ، وما يلزم للتأثير في الإنسان المخاطب . إخراج الحروف من مخارجها الصحيحة، أداؤه سليم أحسن وأجاد في سبك اللفظ على المعنى، كما حظي خطابه بالحكم والأمثال إلى جانب اختصاصه بالإبداع في وصف القضايا التى يتناولها وتصويرها تصويرا حسيا واستشعر السامع

تتخذ الدراسة العلمية للنص طرقا متعددة وأساليب مختلفة ومناهج تُلائم طبيعة الدراسة، كل هذا قصد منه استنطاق النص وتقريبه إلى المتلقي الذي يُعد منتجا للنص ومبدعا له فحين نستمع إلى خطابه ينقل إلينا أفكار صاحبه إلينا وتعبر تعبيرا صادقاُ عن إحساسه ومشاعره ، فإننا نتأثر بها وننفعل بكل جزء فيها بالصورة التى يهدف إليها المتكلم ، فالكلام يرقى كلما دق المتكلم دقة معينة أحدثت مثيلة لها فى ذهن السامع ، ويستطيع المتكلم الحاذق أن يضع أفكاره وأحاسيسه فى أذهان سامعيه ، وأن يجذب انتباههم إلى ما ريد ، وان يلفت أنظارهم عما لا يحب ، وبالنظر والتحليل لعدد من خطب العربية نجدها قد حوت الكثير من هذه الصفات المحاورة الخطابية: الخطابة ونحن نتحدث عن المحاورة الخطابية التى استخدمها القرنى فى خطابه مِنْ مَزايا الكَلامِ الجَيّدِ البَليغ، تَميُّزُ صاحِبِه ببعضِ العباراتِ الأدبيّةِ أو النّماذجِ الخاصّةِ التي تقترِنُ باسمه، وأبرز سمات الخطبة أن فيها الجوانب التأثيرية الآتية :

- **دعوة إلى التفكر وإعمال العقل والتأمل فيما يحويه الكون من عجائب الخلق وبدائع الصنع .**

- **وجود قوة في الإلقاء ، واختيار الألفاظ والمعاني وجزالتها ، وقصر الفواصل .**
- **الاعتناء بالجرس والإيقاع كما يعتنى بالمعنى، وهو لذلك يتخير الخطيب الألفاظ تخيراً يقوم على أساس من تحقيق الموسيقى المتسقة مع اللفظ و السياق،**
- **إختيار العرب للألفاظ قائم على الدقة والانتقائية، ومن ثم اختيار المفردات لتؤدي وظيفتها بدقة متناهية، مع مراعاة دلالتها الإيحائية الفردية والسياقية، وجرسها الموسيقي القائم على أصواتها.**

تعتمد العملية الإقناعية فى الخطبة على ادوات ووسائل يستخدمها الخطيب أثناء طرح خطابه لإكساب خطابه طاقة حجاجية، فيستخدم عددا من الأليات والأدوات اللغوية فى خطبته وتعتبر هذه الأدوات بمثابة قوالب تنظم العلاقة بين الحجج والنتائج أو تعين المرسل على تقديم . حججه في الهيكل الذى يناسب الخطاب وبالتالى يصل إلى غرضه المنشود ومن هذه الأدوات :–

- **الإيقاع الناتج من التجمعات الصوتية**
- **الإيقاع الناتج من التكرار والإيقاع الناتج من التقابل.**
- **الإيقاع الناتج من تجانس الأصوات**
- **الإيقاع الناتج من التوازن بين الجمل**
- **الإيقاع الناتج من السجع – الإيقاع الناتج من الجناس**

كما احتوت الخطبة على أساليب فنيةٍ جميلةٍ من حيث شكلها الظاهري وهي تتلاءم مع ما تحوي من معانٍ.هذه الأساليب أدّت إلى تأليف إيقاع ذي سلالم موسيقيةٍ

تستلذّها الأسماع وترتاح لها النفوس عند سماعها أو قراءتها وتجد متعةً وجمالاً وتجري على الألسنة بخفةٍ ورشاقةٍ لما في كلماته من تلاؤم في الحروف والحركات.ولذلك نجد الخطبة العربية القديمة بالنزعة الجمالية الواضحة في كلماتها وألفاظها ، بل في حروف الكلمات ذاتها وفي تأثير هذه الكلمات والمعاني في النفوس ونجدها تبدأ ببدايات رائعة وصورة أخاذة مشوقة مبهرة حيث نشاهد الأسجاع القوية المتواترة المتآلفة المبدعة حتى يُخيل لمن يسمعها أنها تأخذ مكاناً وسطاً بين الشعر والنثر الأدبي الخطابي .ولذلك جاءت أبرز سمات الخطبة القديمة كالآتى :-

استخدام الأساليب البلاغية بطريقة دقيقة تتوافق والمقام والمضمون الذى يتحدث عنه واختيار الألفاظ والسجع غير المتكلف .

- **اللهجة السائدة في الخطبة لهجة بسيطة مفهومة لدى المخاطَبين .والكلمات المناسبة للمقام والألفاظ المناسبة للحال .**
- **نقل المشاعر الحماسة والعاطفة والحرارة في الحديث .**
- **حسن الاستهلال و اختيار البداية المؤثرة .**
- **إثارة الأسئلة حول الموضوع المراد لإثارة الجانب العاطفي في بعض كلامه .**
- **كانت الخطبة واقعة في دائرة اهتمام المستمعين ويتميز أسلوب العرض بما يلامس شغاف قلوبهم**

قوة الإقناع :

تتميز الخطبة العربية بالإقناع القوي من أقصر طريق وأيسره والإقناع القوي في خطبه يرجع إلى سهولة ألفاظ الخطبة ، ووضوح المعاني التي تتناولها مما يجعل المستمع إليه يتابعها ويفهمها بلا بحث في لفظ عويص أو معنى خفي ، هذا بالإضافة إلى أن السهولة في الخطبة القرنية صاحبت صدقاً حاراً وإخلاصاً قوياً وإيماناً ثابتاً بالموضوع وتفانياً مستمراً في إيصال الرسالة للناس، جمع أسلوب الخطب بين مزايا الشعر والنثر فنال بذلك حرية التعبيرالكاملة في جميع أغراضه وتضمن في الوقت ذاته من خصائص الشعر، الموسيقى الداخلية والفواصل المتقاربة في الوزن التي تغني عن التفاصيل، والتقفية التي تغني عن القوافي.

استخدم العرب الإيقاع الخارجي ويشمل الوزن والقافية، والإيقاع الداخلي ويشمل مباحث من علم البديع في البلاغة العربية كالجناس، والموازنة، والتقسيم ، وردّ الاعجاز على الصدور وغيرها مما يعرف بالمحسنات اللفظية وقد يستبدل بهذين المصطلحين مصطلحا الموسيقى الخارجية، والموسيقى الداخلية. الإيقاع الداخلي تلك الإحساسات الخاصة بالأصوات والألفاظ والتراكيب بحيث تكون مؤثرةً في النص وقادرةً على خلق الدلالات الجديدة التي تنطلق من سياقٍ خاصٍ ومما لا شك فيه أن للإيقاع الداخلي وقعاً صوتياً على الأذن، الأمر الذي يؤدي إلى تثبيت حالةِ شعوريةٍ تكون قد نهضت بالإستناد إلى قيمةٍ تعبيريةٍ معتمدةٍ على الالفاظ، وهذه الألفاظ هي من التقاط تلك الحالة الإنفعالية. ويظهر جمال الإيقاع في كثرة السجع والإزدواج والتوازن والترصيع

يظهر فى خطب العرب الإيقاع الناتج من التجمعات الصوتية بالحروف والكلمات والجمل ما يسمى بالجرس، ولكل منها جرسٌ خاصٌ بها إذ أن جرس الحروف في صوتها المنغم وهي تختلف في صفاتها حسب المخارج ونغمة الصوت"وجرس الكلمات في نغمها وصوتها وإيقاعها الذي يحصل نتيجة التلاؤم بين حروفها وائتلاف هذه الحروف وتوافق أصولها.و جرس الجمل الذى هوإيقاع صوتي الحاصل من التلاؤم بين كلماتها وتوافق أصواتها وحلاوتها"[٢٣]

تشكل التجمعات الصوتية بالحروف إيقاعاً صوتياً، إذ أن الكلام في حدّ ذاته يتحدد بداهةً بأنه حروفٌ منظومةٌ وأصواتٌ مقطعةٌ، ومردّ ذلك أن مادة الكلمة هي الحروف، وأن الحروف أصواتٌ متقطعةٌ على وجهٍ مخصوصٍ كما أنها أصواتُ مفردةُ اذا ألفت صارت الفاظاً وتبرز ظاهرة تعبيرية الحروف التي ترتبط بالسياق الصوتي في لغةٍ معينةٍ إذ أن الإيقاع هو الذي يبرز البنية الصوتية في قوالب زمنيةٍ تمارس من خلالها الايحاء ، "فصوتية الحروف هي التي تشكل النغمات لما تمتاز به من تقطيعٍ وتنغيمٍ"[٢٤] يشكل التجمع الصوتي من خلال الكلمات إيقاعاً صوتياً إذ يتحقق التوافق والإنسجام بين أصوات في كلماتٍ متتاليةٍ "ويشكل تناغماً يأتي من إنسجام الأصوات في تلاحق الكلمات" [٢٥]فتنشأ معادلات لفظية جراء الجمل المتقاربة في أطوالها وأنغامها الداخلية وفواصلها الموسيقية، فعندما تتلاحق الجمل بأفعالها أو أسمائها تتكوّن التجمعات الصوتية وبذلك يتشكل الإيقاع الصوتي.

استخدم العرب تجمعات صوتيةً مختلفةً متلاءماً مع متطلبات سياق الخطبة، التي توجد إيقاعات هائلةً ذات سلالم موسيقيةٍ جميلةٍ فبعض الكلمات يبدو خافتاً، وبعضها يظهر مجلجلاً، وبعضها خفيف التموجات يجري كالماء وبعضها تسمع له ما يشبه الحفيف أو الخرير وبعضها له نقراتُ كالدفوف أو طرقات كمطرقة الحدّاد، وبعضها تحس فيه صلابةً، وبعضها تلمس فيه الرخاوة واللين، كما تحتوي خطب العرب على أساليب فنيةٍ جميلةٍ من حيث شكلها الظاهري وهي تتلاءم مع ما تحوي من معانٍ من خلال بعض الوسائل:–

الإيقاع الناتج من التجمعات الصوتية و الإيقاع الناتج من تجانس الأصوات

الإيقاع الناتج من التكرار

الإيقاع الناتج من التوازن بين الجمل و الإيقاع الناتج من السجع و الإيقاع الناتج من الجناس

مظاهر الحجاج فى خطبة قس بن ساعدة الإيادى :–

تناولت فى هذه الدراسة قيس بن ساعدة الإيادى نموذجاً لتطبيق موضوع الدراسة لكشف مظاهر الحجاج فى خطبة العرب القديمة .

هو قسُّ بن ساعدة الإيادي ."من حكماء العرب قبل الإسلام(توفي نحو سنة ٦٠٠ م) الموافق ٢٣ قبل الهجرة.اسقف نجران وخطيب العرب وحكيمها وقاضيها في عصره

،كثيراً ما كان يوافي سوق عكاظ ويخطب في الملا ترغيبا لهم من الوثنية وتخويفا من غضب الله ونقمته ، وقد مال عن الدنيا وزخرفها ، وعاش على العكاف يعظ الناس ويعبد الله توفي نحو سنة ٦٠٠ م بعد عمر طويل، قال الجاحظ "ولإياد في الخطب خصلة ليست لأحد من العرب، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي روى كلام قس بن ساعدة وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته، وهو الذي رواه لقريش والعرب، وهو الذي عجب من حسنه وأظهر تصويبه، وهذا إسناد تعجز عنه الأماني وتنقطع دونه الآمال. وإنما وفق الله ذلك الكلام لقس بن ساعدة لاحتجاجه للتوحيد ولإظهاره معنى الإخلاص وإيمانه بالبعث. ولذلك كان خطيب العرب قاطبة"[٢٦]

هدفت الخطبة إلى الإفهام والإقناع والإستمالة تميزت بأسلوبِ بعيدِ عن الصنعة ، كثير السمع قصير الفواصل، كما اتسمت معانيها وألفاظها بالقوة وسطوع الحجة والبرهان،زادتها نبرات صوته وحسن إلقائه قوة، يعمه فيه إلى ضرب الأمثال وإرسال الأحكام."[٢٧]سار قس على منهج وسنن العربية وأساليبها في التعبير، فيمتاز في غالبية خطبه بإسلوبٍ إيقاعيّ رائعٍ وجرس لافتِ للنظر. ويشتمل على إيقاعات موسيقيةٍ متعددة أنواع ليؤدي وظائف جماليةَ مختلفةَ إذ أن الأثر الممتع للإيقاع ثلاثي: عقلي، وجمالي ونفسي.وخطبته التى موضوع الدراسة ألقاها فى سوق عكاظ أودعها مجموعة من خلاصة تأملاته ومشاهداته فى الحياة ، تدور الأفكار الرئيسة حول أمر يشغل فكر قس . استخدم قس عدد من الأدوات والوسائل التى يسميها علماء اللغة حديثاً بالحجاج ، سنقوم بعرض عدد من هذه الأدوات التى وردت فى خطبة قس.

"يا أيها الناس اسمعوا وعوا وإذا وعيتم فانتفعوا إنه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت مطر ونبات وأرزاق وأقوات وآباء وأمهات وأحياء وأموات جمع

وأشتات وآيات وأرض ذات رتاج ،وبحار ذات أمواج ساج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، وبحار تزخر، وجبال مرساة، وأرض مدحاة وأنهار مجراة. إن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لعبرا! مِهادٌ موضوع، وسَقْفٌ مرفوع، ونجوم تَمُور، وبِحارٌ لا تَغُور ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا؟ أم تركوا هناك فناموا ؟، وويل لمن خالفه وعصاه – ثم قال تباً لأرباب الغفلة من الأمم الخالية والقرون الماضية يا معشر إياد أين الآباء والأجداد ؟وأين ثمود وعاد؟ وأين الفراعنة الشداد؟أين من بنى وشيد وزخرف ونجد وغره المال والولد؟ أين من بغى وطغى وجمع فأوعى وقال أنا ربكم الأعلى؟ ألم يكونوا أكثر منكم أموالاً؟ وأطول منكم آجالاً ؟وأبعد منكم آمالاً ؟طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خاوية عمرتها الذئاب العاوية كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس والد ولا مولود أيها الناس، أين المعروف الذي لم يشكر، والظلم الذي لم ينكر أقسم بالله قُسٌّ قَسَمًا حتْما، لا كاذبا فيه ولا آثِما، لئِن كان في الأرض رِضًا ليَكونَنَّ بعده سخط، وإن لله . عزت قدرته دينا هو أحبُّ إليه مِنْ دينكم الذي أنتم عليه، وقد أتاكم أوانه، ونبياً قد حان حينه ولحقتكم مدته وأظلكم أوانه فطوبى لمن آمن به فهداه "[٢٨]

براعة الاستهلال :–

" النداء" بدأ قس خطبته بعبارة "أيها الناس" وهو ما يسمى عند اللسانيين ببراعة الاستهلال ويقصد به لفت وجذب انتباه السامعين لما سيأتى بعدها من كلام يرى الخطيب ضرورة الاستماع أليه بكامل حواسهم

" اسمعوا وعوا" وهى أيضا عبارة قوية يرى الخطيب ضرورة أن يستمع الجمع لما سيقوله أو ماسيحدثهم عنه من أمر عظيم وهو الموت

ترتيب الألفاظ والمعاني و وحدة الصوت:-: يا أيها الناس استمعوا واسمعوا وعوا،

كل من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، مطر ونبات، وأحياء وأموات، ليل داج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، وبحار تزخر، وضوء وظلام، وليل وأيام، وبر وآثام. وجبال مرسية، وأنهار مجرية إن في السماء خبرا، وإن في الأرض عبرا، يحار فيهن البصرا، مهاد موضوع، وسقف مرفوع، ونجوم تغور، وبحار لا تفور، ومنايا دوان، ودهر خوان، كحد النسطاس، ووزن القسطاس

الإيقاع الناتج من السجع:-

اختار قس لخطبته طريقة السجع المتوازن وصبها فى فواصل لفظية مقفاة خلقت تفاعلا مستمراً بين أجزاء الخطبة ، واختار لها ألفاظاً سهلة واضحة ، بعيداً عن التكلف والصنعة . فجاءن فقراتها متساوية فى عدد الكلمات ، فازدات كلماته قوةً ونضجاً ، فكانت أقرب من سمع السامعين ، ومن أمثلة السجع الحسن ما جاء في خطبة قس بن ساعدة الإيادي التي يقول فيها : "أيها الناس ، اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت "

"ظهر النور، وبطل الزور، وبعث الله محمدا بالحبور، صاحب النجيب الأحمر، والتاج والمغفر، والوجه الأزهر، والحاجب الأقمر، والطرف الأحور، صاحب قول شهادة أن لا إله إلا الله، وذلك محمد المبعوث إلى الأسود والأبيض، أهل المدر والوبر"كل له معاد، يقسم قس برب العباد، وساطح المهاد، لتحشرن على الانفراد، في يوم التناد، إذا نفخ في الصور، ونقر في الناقور، وأشرقت الأرض، ووعظ الواعظ،

فانتبذ القانط، وأبصر اللاحظ."فويل لمن صدف عن الحق الأشهر، والنور الأزهر، والعرض الأكبر، في يوم الفصل، وميزان العدل، إذا حكم القدير، وشهد النذير، وبعد النصير، وظهر التقصير"

كان قُس خطيب العرب وحكيمها يعتمد على اسلوب السجع الموسيقيّ بعبارات قصيرة وتشابيه واستعارات كثيرة ، شديدة الوقع في قلب السامع وعاطفته. "إنّه ينقض بخطبه على سامعيه انقضاضاً لكي يقتلعهم من ذواتهم الماديّة وينلهم الى ذواتهم الروحيّة فيرتفعوا من صَنَميّتهم الى عبادة الله الحقّ.وهكذا فخطابته رسالةتبشيريّة تُوقظ الضمائر وترغب في الخير والحسنى"[٢٩]

التضاد فى خطبة قس :– و في يوم عكاظ قال :– ففريق في الجنة، وفريق في السعير ، ": شرق وغرب، ويتم وحزب، وسلم وحرب، ويابس ورطب، وأجاج وعذب، وشموس وأقمار، ورياح وأمطار، وليل ونهار، وإناث وذكور، وبرار وبحور، وحب ونبات، وآباء وأمهات، وجمع وأشتات، وآيات في إثرها آيات، ونور وظلام، ويسر وإعدام، ورب وأصنام التضاد بين :–

شرق وغرب سلم وحرب يابس ورطب أجاج وعذب

يتم وحزب

وشموس وأقمار، وليل ونهار وإناث وذكور، وبرار وبحور، وآباء وأمهات، وجمع وأشتات، ، ونور وظلام، ويسر وإعدام، ورب وأصنام.نشوّ مولود، ووأد مفقود،

وفقير وغني، ومحسن ومسيئ أعاد وأبدى، وأمات وأحيا، الذكر والأنثى، رب الآخرة والأولى

حسن التصوير والتمثيل:–

" ظهر النور، وبطل الزور، وبعث الله محمدا بالحبور، صاحب النجيب الأحمر، والتاج والمغفر، والوجه الأزهر، والحاجب الأقمر، والطرف الأحور، صاحب قول شهادة أن لا إله إلا الله، وذلك محمد المبعوث إلى الأسود والأبيض،أهل المدر والوبرلتحشرن على الانفراد، في يوم التناد، إذا نفخ في الصور، ونقر في الناقور، وأشرقت الأرض، ووعظ الواعظ، فانتبذ القانط، وأبصر اللاحظ. ليل داج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، وبحار تزخر، وضوء وظلام، وليل وأيام، وبر وآثام. إن في السماء خبرا، وإن في الأرض عبرا، يحار فيهن البصرا، مهاد موضوع، وسقف مرفوع، ونجوم تغور، وبحارلا تفور، ومنايا دوان، ودهر خوان، كحد النسطاس، ووزن القسطاس.

السؤال (الاستفهام):–. يستخدم قس فى خطبته الاستفهام كما يستعمل كثيراً من المثيرات النفسية من استفهام وتخصيص وتقريع وتذكير بنعم الله على إقرار بالمزية والفضل وكل ذلك في روعة جمالية وسمو لفظي جميل، أما بعد: "فيا معشر إياد، إياد أين الآباء والأجداد ؟وأين ثمود وعاد؟ وأين الفراعنة الشداد؟أين من بنى وشيد وزخرف ونجد وغره المال والولد؟ أين من بغى وطغى وجمع فأوعى وقال أنا ربكم الأعلى؟ ألم يكونوا أكثر منكم أموالاً؟ وأطول منكم آجالاً ؟وأبعد منكم آمالاً؟ أرى الناس يموتون ولا يرجعون، أرضوا بالإقامة فأقاموا؟ أم تركوا فناموا؟:"استخدم قس الاستفاهم ليس بغرض الاستفهام ، لكن كوسيلة من وسائل الحجاج للإقناع ، يتساءل ويدعو الناس

معه ليشاركوه هذا السؤال ولا ينتظر جواباً عليه ولكنه يجعله مدخلا على ضلال القوم ، وتقبيح ما هم عليه من كفر وفساد .

مظاهر الحجاج فى خطبة كعب بن لؤى :-

كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، يكنى بأبي هُصيص هو الجد السابع للنبى صلى الله عليه وسلم قيل إنه أول من سمي يوم الجمعة وكان يسمى يوم العُروبة ومن أبرز خطباء الجاهلية وكان يجمع قومه فيه ويخطبهم ، كان عظيم القدر عند العرب حتى أرّخوا بوفاته إلى عام الفيل، توفي سنة ١٨٣ قبل الهجرة": كان كعب بن لؤي يجمع قومه يوم الجمعة، وكانت قريش تسميه العروبة قال: وكان بين موت كعب بن لؤي ومبعث رسول الله ﷺ خمسمائة عام وستون سنة.[٣٠]"

"رَوَى أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، أَنَّ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍ ، كَانَ يَقِفُ بِعُكَاظٍ فِي الْمَوْسِمِ مُتَوَكِّئًا عَلَى عَصًا"[٣١] ، وَيَقُولُ : أَمَّا بَعْدُ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، فاسمعوا وعوا وتعلمُوا تَعْلَموا، وتفهمُوا تَفْهَموا! ليل ساج. ونهار صاج، والأرض مهاد، الجبال أوتاد، وَالسَّمَاءُ بِنَاءٌ، وَالنُّجُومُ أَعْلامٌ ، لم تُخلقُ عبثاً فتضربوا عنها صفحاً ، الآخرون كالأولين ، والذكر كالأنثى ، والزوجُ والفردُ إلى بلى ، فصِلُوا أَرْحَامَكُمْ ، وأوفو بعهودكم ، وَاحْفَظُوا أَصْهَارَكُمْ ، وَثَمِّرُوا أَمْوَالَكُمْ فإنها قوام مروءتكم ، فهل رأيتم من هالك رجع ؟، أو ميت نُشر؟ ، وَالدَّارُ أَمَامَكُمْ ، وَالظَّنُّ غيرُ مَا تَقُولُونَ ، زَيِّنُوا حَرَمَكُمْ ، وَعَظِّمُوهُ ، وَتَمَسَّكُوا بِهِ ، فَسَيَأْتِي لَهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ ، وَسَيَخْرُجُ مِنْهُ نَبِيٌّ كَرِيمٌ بذلك جاء موسى وعيسى ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا لَيْتَنِي شَاهِدٌ نَجْوِي لِدَعْوَتِهِ خَيْرُ الْعَشِيرَةِ يَأْتِي الْحَقَّ خَذْلانَا ثُمَّ يَقُولُ : لَوْ

كُنْتُ يَوْمَئِذٍ ذَا سَمْعٍ وَذَا بَصَرٍ ، لَتَنَصَّبْتُ فِيهَا تَنَصُّبَ الْجَمَلِ ، وَلأَرْقَلْتُ إِرْقَالَ الْفَحْلِ فَرَحًا بِدَعْوَتِهِ"[٣٢]

براعة الاستهلال :–

أَمَّا بَعْدُ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، يريد الخطيب لفت إنتباه سامعيه لأهمية القول الذى يجئ بعد هذا الاستهلال " أما بعد" " أيها الناس " استخدام النداء قصد منه جذب انتباههم أيضا" فَاسْمَعُوا وَافْهَمُوا وَتَعَلَّمُوا" استخدام حرف الفاءمع الفعل "اسمعوا " إشارة إلى ضرورة الإلتزام وفهم الصورة التى جاءت تصورنعمة الله على خلقه والتى يجب التأمل فيها وشكر الله عليها وعبادته تمثلت فى " ليل ساج. ونهار صاج، والأرض مهاد، الجبال أوتاد، وَالسَّمَاءُ بِنَاءٌ، وَالنُّجُومُ أَعْلامٌ ، لم تُخلقُ عبثاً فتضربوا عنها صفحاً"

الإيقاع الناتج من السجع:– اللَّيْلُ سَاجٍ ، وَالنَّهَارُ وَهَّاجٌ ، وَالأَرْضُ مِهَادٌ ، وَالْجِبَالُ أَوْتَادٌ ، وَالسَّمَاءُ بِنَاءٌ، فصِلُوا أَرْحَامَكُمْ ، وأوفو بعهودكم ، وَاحْفَظُوا أَصْهَارَكُمْ.

السؤال (الاستفهام):–. فهل رأيتم من هالك رجع ؟، أو ميت نُشر؟ غرض الاستفهام أراد به الخطيب إنكار عودة ورجوع الذين فارقوا الحياة – وذلك بغرض إقناع السامعين بأن الحياة مصيرها الزوال ومن يمت لا يرجع فعليهم التحلى بمكارم الأخلاق المتمثلة فى " فصِلُوا أَرْحَامَكُمْ ، وأوفو بعهودكم ، وَاحْفَظُوا أَصْهَارَكُمْ ، وَثَمِّرُوا أَمْوَالَكُمْ فإنها قوام مروءتكم"

الجناس :– وتعلمُوا تَعْلَموا، وتفهمُوا تَفْهَموا

السجع :- ليل ساج. ونهار صاج، والأرض مهاد، الجبال أوتاد،

الأسلوب الإنشائى :-فصِلُوا أَرْحَامَكُمْ ، وأوفو بعهودكم ، وَاحْفَظُوا أَصْهَارَكُمْ ، وَثَمِّرُوا أَمْوَالَكُمْ فإنها قوام مروءتكم- زَيِّنُوا حَرَمَكُمْ ، وَعَظِّمُوهُ ، وَتَمَسَّكُوا بِهِ

الأسلوب الخبرى :- بِنَاءٌ، وَالنُّجُومُ أَعْلامٌ ، لم تُخلقُ عبثاً فتضربوا عنها صفحاً ، الآخرون كالأولين ، والذكر كالأنثى ، والزوجُ والفردُ إلى بلى وَالدَّارُ أَمَامَكُمْ ، وَالظَّنُّ غيرُ مَا تَقُولُونَ-، فَسَيَأْتِي لَهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ ، وَسَيَخْرُجُ مِنْهُ نَبِيٌّ كَرِيمٌ بذلك جاء موسى وعيسى . لَتَنَصَّبْتُ فِيهَا تَنَصُّبَ الْجَمَلِ ، وَلأَرْقَلْتُ إِرْقَالَ الْفَحْلِ فَرَحًا بِدَعْوَتِهِ.

أسلوب خبرى غرضه التمنى :-" يَا لَيْتَنِي شَاهِدٌ نَجْوِي لِدَعْوَتِهِ" "لَوْ كُنْتُ يَوْمَئِذٍ ذَا سَمْعٍ وَذَا بَصَرٍ"

نتائج:-

تبدو مظاهر الحجاج فى الخطبة العربية فى العصر الجاهلى ذات تأثير عميق على المستمعين وذلك بما تملكه من وسائل وأدوات حجاجية استخدمها الخطباء بغرض استمالة مستمعيهم وإقناعهم بأراء وقيم كانت تسود مجتمعهم
ظهرت فى الخطبة العربية العديد ومن الأدوات والوسائل الحجاجية كشف عنها البحث اللغوى الحديث وأطلقها عليها مسميات لم تعرف فى المنهج العربى القديم ظهرت وسائل التداولية والمقامات التخاطبية فى الخطبة القديمة واستخدمها الخطيب العربى فى صور شتى

الانسجام الصوتيّ في الخطبة العربية وجمال المعنى الداخليّ يبتسم بالتناسب بين نوع النغمة وصفاتها، والفكرة أو الموضوع أو المشهد الذي يود الخطيب التعبير عنه.

الإنسجام الصوتي هو حصيلة حاصل لبراعة التأليف وحسن التشكيل الصوتى الذى يهدف إلى التأثر والاستمالة والإقناع

جاءت مظاهر الحجاج فى الخطبة العربية سهلة تخلو من التعقيد

الحاشية

١– ابن جنى ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ،تحقيق الشيخ على النجار، طبعة دار الكتب المصرية ،ج١ ، ص ٣١

٢– الخطابة ، الترجمة العربية القديمة ، تحقيق وتعليق عبد الرحمن بدوي ، ص : ٩

٣ – محمد منير حجاب، تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر. ط١ ،دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤م،

٤– ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصرى لسان العرب ، دار صادر بيروت ، لبنان ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ ج١ ص ١٢١

٥ – لخطابة ، الترجمة العربية القديمة ، تحقيق وتعليق عبد الرحمن بدوي ، ص : ٩

٦–حمادي صمود و ، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم " ص٣٤

٧- عبد الله صوله: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبيّة، ص٣٦

٨–عبد الرحمن بدوي – الخطابة ، الترجمة العربية القديمة ، ص ٣

٩– د. عبد الجليل عبدو شلبي– إعداد الخطيب–. دار الشروق– الطبعة الثالثة م.١٩٨٧ – ص١٤

١٠– خليل المنصور – فن الخطابة – بيروت– الطبعة: الأولى –دار الكتب العلمية م.٢٠٠١ – ص ٢١

١١–١١–السابق– ص ٤٢

١٢– الجاحظ، ابوعثمان عمروبن بحر: البيان و التبيين،ج ٢ مطبعة الفتوح الادبيّة، القاهرة١٣٣٢هـ ص ٢٢٣
١٣ – القزويني، سيدعبدالحسين:صناعة الخطابة، مؤسسة البلاغ، بيروت١٤٠٨هـ ، ١٤٠٨هـ، ص٥
١٤– أحمد عمر المختار، دراسة الصوت اللغوي، ط ٣ عالم الكتب ، مصر ١٩٨٥، ص ١٣٥
١٥–ابن جنى ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ،تحقيق الشيخ على النجار، طبعة دار الكتب المصرية ،ج١ ، ص ٣١
١٦– ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد – المقدمة ، تحقيق د. على عبد الواحد وافى ، طبعة لجنة البيان١٩٦٢ص١٤
١٧– محمد منير حجاب، تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر. ط١ ،دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤م ،ص٢٦٣–٢٦٤.
١٨– د. أحمد محمد الحوفي – فن الخطابة ، دار النهضة، مصر، الطبعة الرابعة ١٣٩٩هـ ص٣١
١٩– صبحى إبراهيم الفقى – علم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق –الجزء الأول ، دار قباء ، القاهرة ،١٤٢١هـ /٢٠٠٠م ، ص ٩٦
٢٠– حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨١، ص٢٥٩
٢١–كمال أبو ديب – في البنية الإيقاعية للشعر العربي " ، دار العلم للملايين ، بيروت – الطبعة الثانية .١٩٨١ م . ص ٢٣٠
٢٢– عبد الصبور شاهين –دراسات لغوية –مكتبة الشباب القاهرة ط١–١٩٩٥ ص ٦٠–
٢٣–غانم قدوري الحمد –المدخل إلى أصوات العربية"، دار عمار ، عمان ، الطبعة الأولى . ١٤٢٥ هـ =٢٠٠٤ م. ص : ١٨٥
٢٤– برتيل ، مالبرك : علم الأصوات ، تعريب ودراسة عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٨٥ م ص ١٣٣
٢٥ – حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨١.ص٣٣

٢٦- الجاحظ- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين -تحقيق عبد السلام هارون - ط٧مكتبة الخانجى ١٤١٨هـ-١٩٩٨ج٢ ص٢٠٠

٢٧- أحمد زكى صفوت -جمهرة خطب العرب فى العصور الزاهرة - المكتبة العلمية بيروت - ١٣٥٢هـ ١٩٣٣م -ج١- ص٣٨

٢٨-السابق الصفحة نفسها

٢٩- - الفاخورى - حنّاء:الجامع في تاريخ الادب العربي(الادب القديم)، دارالجيل الطبعة لثانية، بيروت١٩٩٥م.ص١٢٥

٣٠- ابن كثير إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي- **البداية والنهاية -دار عالم الكتب ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ج٢ - ص٣٣٣**

٣١-القلقشندى - أبو العباس أحمد القلقشندي-صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء-دار الكتب المصرية ١٣٤هـ١٩٢٢م-ج١-ص١١٢

٣٢ -المبرد -أبو العباس محمد بن يزيد-الكامل فى اللغة -تحقيق د يحي مراد -طبعة مؤسسة المختار ١٤٣١هـ٢٠١٠م ص٢٢

المصادر والمراجع

١–ابن جنى ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ،تحقيق الشيخ على النجار، طبعة دار الكتب المصرية

٢- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد – المقدمة ، تحقيق د. على عبد الواحد وافى ، طبعة لجنة البيان١٩٦٢

٣– ابن كثير إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي– البداية والنهاية –دار عالم الكتب ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

٤- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصرى لسان العرب ، دار صادر بيروت ، لبنان ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥

٥- أبو العباس أحمد القلقشندي–صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء–دار الكتب المصرية ١٣٤هـ١٩٢٢م

٦– أحمد زكى صفوت –جمهرة خطب العرب فى العصور الزاهرة – المكتبة العلمية بيروت – ١٣٥٢هـ ١٩٣٣م

٧– أحمد محمد الحوفي – فن الخطابة ، دار النهضة، مصر، الطبعة الرابعة ١٣٩٩هـ

٨– أحمد عمر المختار، دراسة الصوت اللغوي، ط ٣ عالم الكتب ، مصر

٩– إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي– البداية والنهاية –دار عالم الكتب ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

١٠–برتيل ، مالبرك : علم الأصوات ، تعريب ودراسة عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٨٥

١٠– الجاحظ– أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين –تحقيق عبد السلام هارون – ط٧مكتبة الخانجى ١٤١٨هـ–١٩٩٨

١١ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨١

١٢– خليل المنصور – فن الخطابة – بيروت– الطبعة: الأولى –دار الكتب العلمية م.٢٠٠١

١٣– صبحى إبراهيم الفقى – علم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق –الجزء الأول ، دار قباء ، القاهرة ،١٤٢١هـ /٢٠٠٠م

١٤- عبد الله صوله: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبيّة-مكتبة دار الكتب ٢٠١١
١٥- عبد الجليل عبدو شلبي- إعداد الخطيب-. دار الشروق- الطبعة الثالثة م.١٩٨٧
١٦-عبد الصبور شاهين -دراسات لغوية -مكتبة الشباب القاهرة ط١-١٩٩٥
١٧-عبد الرحمن بدوي - الخطابة ، الترجمة العربية القديمة-دار الجيل بيروت الطبعة الثانية ١٩٩٥
١٨- غانم قدوري الحمد -المدخل إلى أصوات العربية"، دار عمار ، عمان ، الطبعة الأولى . ١٤٢٥ هـ =٢٠٠٤
١٩- الفاخورى - حنّاء:الجامع في تاريخ الادب العربي(الادب القديم)، دارالجيل الطبعة لثانية، بيروت١٩٩٥م
٢٠-القزويني، سيدعبدالحسين:صناعة الخطابة، مؤسسة البلاغ، بيروت١٤٠٨هـ ، ١٤٠٨هـ
٢١- القلقشندى - أبو العباس أحمد القلقشندي-صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء-دار الكتب المصرية ١٣٤هـ١٩٢٢م
٢٢-كمال أبو ديب - في البنية الإيقاعية للشعر العربي " ، دار العلم للملايين ، بيروت - الطبعة الثانية . ١٩٨١ م.
٢٣- المبرد -أبو العباس محمد بن يزيد-الكامل فى اللغة -تحقيق د يحي مراد -طبعة مؤسسة المختار ١٤٣١هـ٢٠١٠م
٢٤- محمد منير حجاب، تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر. ط١ ،دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤م